

# الآراء النقوية في كتاب "الفرجال"



## الآراء النقدية في

### كتاب "الغربال"

في فصول كتاب الغربال و موضوعاته يتناول ميخائيل نعيمة آراء

نقدية لها كبير أهمية في النقد الحديث ، أبرزها :

(١) يتحدث عن مهمة النقد الأدبي ، من تمييز بين الجيد والردىء

فيما أطلق عليه (الغريبة) ، " ليست غريبة الناس " . بل غريبة ما

يدونه قسم من الناس من الأفكار والشعور والميول هو ما تعودنا

أن ندعوه أدبًا ، فمهمة الناقد إذن هي غريبة الآثار الأدبية .

(٢) وهو يطلب من الناقد أن يتحلى بإخلاص النية والحيدة التامة

ودقة الذوق ورقة الشعور ، وذلك في رأيه – هو الناقد الذي يتقبل

منه النقد ، لأن الشعراء والمبدعين يرون الإخلاص فيما يكتب ، "

فالناقد الذي توافرت له مثل هذه الصفات لا يعدم أناسًا

ينضوون تحت لوائه ويعملون بمشيئته ، فيستحبون ما يحب

ويستقبحون ما يقبح ، فيصبح وهو وراء منضدته سلطانًا يأمر ..

وتتذوق بذوقه أُلوف من الناس"<sup>(١)</sup> .

١- الغربال ، ميخائيل نعيمة ، وزارة الثقافة و الفنون و التراث ، دولة قطر ، ٢٠١٢ ص ٤٠ .

(٣) ونحن في حاجة إلى النقاد " لأن أذواق السواد الأعظم منا

مشوهة بخرافات رضعناها من ثدي أمسنا ، وترهات اقتبلناها

من كف يومنا ، فالناقد الذي يقدر أن ينتشلنا من خرافات

أمسنا ، وترهات يومنا ، والذي يضع لنا اليوم محجة لندركها في

الغد هو الرائد الذي سنتبعه ، والحادي الذي سنسير على حذوه"<sup>(١)</sup>.

(٤) كما أن وظيفة الناقد لا تقف عند حد تمييز جيد الشعر من رديئه

" إلا أن فضل الناقد لا ينحصر في التمهيص والتثمين والترتيب

فهو مبدع و مولد و مرشد ...مبدع عندما يرفع النقد في أثر ينقده

عن جوهر لم يهتد إليه أحد ، حتى صاحب الأثر نفسه .. وهو مولد

لأنه في ما ينقد ليس في الواقع إلا كاشفاً نفسه ، فهو إذا

استحسن أمراً لا يستحسنه لأنه حسن في ذاته ، بل لأنه ينطبق

على آرائه في الحسن .. و الناقد مرشد لأنه كثيراً ما يرد كاتباً

مغوراً إلى صوابه ، أو يهدي شاعراً ضالاً إلى سبيله"<sup>(٢)</sup>.

أما حديثه عن الأدب ، و الكاتب المجيد " سواء كان روائياً

أو صحافياً أو شاعراً ، هو الكاتب الذي يرى بعيني قلبه ما لا يراه كل

بشر الكاتب الذي يعد لنا من كل مشهد من مشاهد الحياة درساً مفيداً

١- السابق : ص ٤٧ .

٢- نفسه : ص ٤٩ .

أن يطبق عينيه ويصم أذنيه عن حاجات الحياة وينظم ما توحىه إليه نفسه فقط سواء كان لخير العالم أولويله .

ومادام الشاعر يستمد غذاء لقريحته من الحياة ، فهو لا يقدر - حتى لو حاول ذلك - إلا أن يعكس أشعة تلك الحياة في أشعاره فيندد هنا ويمدح هناك . لذلك يقال إن الشاعر ابن زمانه ، وذلك صحيح في أكثر الأحوال إن لم يكن في كلها<sup>(١)</sup> .

- و يُفَرِّقُ الشَّاعِرُ " والنظَّام " الذي يعني بالوزن و القافية على حساب المعنى و المضمون ، " فالنظَّام يأخذ قلمًا و قرطاسًا ، ثم يبدأ بوخز دماغه و قريحته علَّه يتمكن من أن يهيجها ولو قليلاً . غايته لا أن يترجم عن عواطف أو أن يعبر عن أفكار ، بل أن ينظم قصيدة ، لذلك إذا خدعنا هذا بطلاوة نسقه فلا يطول أن نكتشف تصنعه و خداعه فننساه و ننسى قصيدته . أما الشاعر الذي يسقي قلمه من قلب طافح وروح هائجة فربما لا نفهمه اليوم ولا نهتم به ، لكن لا بد أن نفيق غدًا و ندرك هفوتنا ، لأن الجمال - كالشمس - لا يختفي .<sup>(٢)</sup>

و يتحدث نعيمة عن اللغة العربية ، وماهي فيه من محنة ، ذلك أننا قنعنا بما جاء إلينا ، وما ألفتناه من الأجداد ، دون أن نتوسع في

١- السابق : ص ١١١ .

٢- السابق : ص ١١٤ .

مفهوم اللغة ، و نضيف إليها جديدًا من الألفاظ مما يفرزه الواقع ويضيفه إلى القاموس ، " إن اللغة التي هي مظهر من مظاهر الحياة لا تخضع إلا لقوانين الحياة .

فهي تنتقي المناسب ، و تحتفظ من المناسب بالأنسب في كل حالة من حالاتها . و كالشجرة تبدل أغصانها اليابسة بأغصان خضراء و أوراقها الميتة بأوراق حية " (١) .

و يستدل لضرورة أن نضيف إلى اللغة بنموذج نقدي " من كاتب مصري لقصيدة جبران خليل جبران " المواكب " وقد عثر فيها الناقد على هذا البيت :

هل تحممت بعطر \* \* و تتشفت بنور  
فأثبته و وضع بعد كلمة " تحممت " كلمة " كذا " و بعدها علامة استفهام . و إن شئت فقل علامة استغراب .

كأن الناقد يقول للقارئ : انظر . هو يقول " تحممت " وليس في اللغة كلمة " تحم " بل " استحم " فيا للجريمة ! (٢) .

١- السابق ص : ١٢٢ .

٢- السابق ص ١٢٣ .

أن يطبق عينيه و يصم أذنيه عن حاجات الحياة و ينظم ما توحيه إليه نفسه فقط سواء كان لخير العالم أولويله .

ومادام الشاعر يستمد غذاء لقريحته من الحياة ، فهو لا يقدر - حتى لو حاول ذلك - إلا أن يعكس أشعة تلك الحياة في أشعاره فيندد هنا و يمدح هناك . لذلك يقال إن الشاعر ابن زمانه ، وذاك صحيح في أكثر الأحوال إن لم يكن في كلها<sup>(١)</sup> .

- و يُفَرِّقَ الشَّاعِر " و النِّظَام " الذي يعني بالوزن و القافية على حساب المعنى و المضمون ، " فالنِّظَام يأخذ قلمًا و قرطاسًا ، ثم يبدأ بوخز دماغه و قريحته علَّه يتمكن من أن يهيجها ولو قليلاً غايته لا أن يترجم عن عواطف أو أن يعبر عن أفكار ، بل أن ينظم قصيدة ، لذلك إذا خدعنا هذا بطلاوة نسقه فلا يطول أن نكتشف تصنعه و خداعه فننساه و ننسى قصيدته . أما الشاعر الذي يسقي قلمه من قلب طافح وروح هائجة فربما لا نفهمه اليوم ولا نهتم به ، لكن لا بد أن نفيق غدًا و ندرك هفوتنا ، لأن الجمال - كالشمس - لا يختفي ."<sup>(٢)</sup>

و يتحدث نعيمة عن اللغة العربية ، وماهي فيه من محنة ، ذلك أننا قنعنا بما جاء إلينا ، وما ألفناه من الأجداد ، دون أن نتوسع في

١- السابق : ص ١١١ .

٢- السابق : ص ١١٤ .

مفهوم اللغة ، و نضيف إليها جديدًا من الألفاظ مما يفرزه الواقع  
ويضيفه إلى القاموس ، " إن اللغة التي هي مظهر من مظاهر الحياة لا  
تخضع إلا لقوانين الحياة .

فهي تنتقي المناسب ، و تحتفظ من المناسب بالأنسب في كل  
حالة من حالاتها . و كالشجرة تبدل أغصانها اليابسة بأغصان خضراء  
و أوراقها الميتة بأوراق حية " (١) .

و يستدل لضرورة أن نضيف إلى اللغة بنموذج نقدي " من كاتب  
مصري لقصيدة جبران خليل جبران " المواكب " وقد عثر فيها الناقد  
على هذا البيت :

هل تحممت بعطر \* \* و تتشفت بنور  
فأثبته و وضع بعد كلمة " تحممت " كلمة " كذا " و بعدها علامة  
استفهام . و إن شئت فقل علامة استغراب .

كأن الناقد يقول للمقاريء : انظر . هو يقول " تحممت " وليس في  
اللغة كلمة " تحم " بل " استحم " فيا للجريمة ! (٢) .

١- السابق ص : ١٢٢ .

٢- السابق ص ١٢٢ .

و يعلق نعيمة : " سألتكم يا سادتي ، باسم العدل و الفهم والقاموس : لماذا جاز لبدوي لا أعرفه ولا تعرفونه أن يدخل على لغتكم كلمة " استحم " ولا يجوز لشاعر أعرفه و تعرفونه أن يجعلها " تحمم " ؟ وأنتم تفهمون قصده بل تفهمون " تحمم " قبل أن تفهموا " استحم؟ وما هي الشريعة السرمدية التي تربط ألسنتكم بلسان أعرابي عاش قبلكم بالوف السنين ، ولا تربطهما بلسان شاعر معاصر لكم" (١).

ويقول : " أمامكم كلمتان : " استحم " وهي قاموسية .

و " تحمم " وهي غير قاموسية . ألا ترون أنكم إذا عرضتم عن الثانية تضحل من تلقائها؟ وإذا أقبلتم عليها تصبح جزءاً من لغتكم وتضمحل الأولى ؟ وفي الحالتين تجرون باختياركم حسب سنن طبيعية ليس لي ولا لكم فوقها أقل سلطة " (٢).

و يعترض ميخائيل نعيمة على أوزان الخليل بن أحمد و عروضه و تقديس الشعراء و النقاد له عبر عصور طويلة ، و يرى في الزحافات و العلل قيوداً تعوق عملية الإبداع ، و تقف حائلاً أمام تجارب الشعراء يقول : " و الزحافات و العلل أوبئة تنزل بأوزان الشعر العربي فتحرك ساكناً أو تسكن متحركاً ، و تقضم حرفاً هنا ومقطعا هناك .." (٣) .

١- السابق ص ١٢٤ .

٢- السابق ص ١٢٤ .

٣- السابق ص ١٢٣ .

و يرى عدم جدوى هذه الزحافات و العلل ، و أننا أضعنا الوقت  
في دراستها ، " لقد مات الخليل يا أخي .

ومند مات الخليل حتى اليوم و نحن منغمسون في درس الخبن  
و الخبل ، و الترفيل و التذليل ، و النقص ، و الوقص ، و القطف  
و الكسف ، و الحزم ، و الثلم ، و القصر و البتر إلى ما هنالك من علل  
زاحفة ، و زحافات معتلة <sup>(١)</sup> .

إنه يدعو إلى التجديد و التطوير ، و يرى أن يتحرر الشاعر من هذه  
القيود المتمثلة في الزحافات و العلل ، إذ ليس المهم إتقان الأوزان  
و معرفة الزحاف و العلة بل الغاية هي الإبانة و إيضاح المحتوى  
" وكما أن الله لا يحفل بالمعابد و زخرفتها بل بالصلاة الخارجة من  
أعماق القلب ، هكذا النفس لا تحفل بالأوزان و القوافي من ضرورة الشعر  
كما أن المعابد و الطقوس ليست من ضرورة الصلاة و العبادة " <sup>(٢)</sup> .

---

١- السابق ص ١٣٤ .

٢- السابق ص ١٤١ .